افتراء ابن بطوطة

على ابن تيمية

ذكرني ما جاء في الجزء الرابع من المجلد السادس عشر من مجلة المجمع العلمي في ص ١٩١ من قول رئيسه عن كتاب تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية تأليف صديقنا السيد هنري لاوست . نفذ مؤلف هذا الكتاب الى تاريخ شيخ الإسلام ابن تيمية وغاص كما يغوص العالم الذي لا مأرب له غير خدمة الحقائق في كتب هذا الامام الخ .

ان بعض من ينتقده ويطعن في عقيدته ويقول انه يذهب الى القول بالجهة يستند الى ما ذكره الرحالة ابن بطوطة في رحلته (في ص٥٧) « وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية كبير الشأن ويتكلم في الفنون الا ان في عقله شيئاً وكان اهل دمشق يعظمونه اشد التعظيم ويعظهم على المنبر (الى ان قال) وكنت اذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه ان قال ان الله ينزل الى السماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر » .

وقد تبين لي بعد البحث والتدقيق ولا اعلم احداً تنبه لذلك قبل الآن [1] ان هذه القصة من وضع ابن بطوطة وانها محض افتراء على شيخ الاسلام ابن تيمية واليك البيان

قد ذكر ابن بطوطة نفسه في ص ٥٠ من رحلته انه دخل دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان عام ستة وعشرين (وسبعمائة) ونزل بالمدرسة المالكية المعروفة بالشرابشية .

وقد جاء في الدر المنتخب في تاريخ حلب للقاضي علاء الدين ابن خطيب الناصرية [2] في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية ما نصه بعد كلام طويل . « وهذا الثناء عليه وكان

(١) كتب في هذا الموضوع الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار في مجلة دمشق ج ١٠ ص٣

(٢) من مخطوطات مكتبة المدرسة الاحمدية بحلب وقد تكلمت عليه في الجزء الرابع من المجلد السادس عشر (ص ١٨٤) .

عمره نحو الثلاثين سنة ثم جرت له محن بسبب فتواه في مسألة الطلاق الثلاثة وشد الرحال الى قبور الأنبياء والصالحين اوجبت القيام عليه وحبس مرات بالقاهرة والاسكندرية ودمشق وعقد له مجالس بالقاهرة ودمشق وحصل له في بعضها تعظيم زائد من السلطان وآخر الأمر ورد مرسوم شريف من السلطان في شعبان سنة ست وعشرين بجعله في القلعة فجعل في قاعة حسنة واجري اليها الماء الخ ثم قال في آخر ترجمته توفي معتقلاً ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة » .

وقال ابن شاكر الكتبي في تاريخه فوات الوفيات في أواخر ترجمة ابن تيمية ما نصه : « وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين بجعله في القلعة فأخليت له قاعة حسنة وأجري اليها الماء وأقام فيها ومعه أخوه [1] يخدمه (الى ان قال) واقبل (وهو بالحبس) على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين فلم يفجأ الناس الا نعيه وما علموا بمرضه (ثم قال) وكانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة » .

فقد اتفق هذان المؤرخان على انه اعتقل في شعبان سنة ٢٦ وظل معتقلاً الى ان أتاه اليقين وابن بطوطة يقول انه دخل دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان وانه سمعه يوم الجمعة العاشر منه يقول ما قدمنا ذكره عنه مع أنه باتفاق المؤرخين كان في شهر شعبان معتقلاً فكيف سمعه وهو معتقل وقتئذ . هذا ولا ريب محض افتراء . ويؤيد قولنا ان هذه القصة مفتراة من ابن بطوطة ما قاله الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة في ترجمته (ج ٤ ص ٨٠) « قال شيخنا ابو البركات ابن البلفيقي حدثنا بغرائب مما رآه فمن ذلك انه زعم انه دخل القسطنطينية فرأى في كنيستها اثنى عشر الف اسقف وقرأت بخط ابن مرزوق ان اباعبد الله بن جزى نمقها وحررها بأمر السلطان ابي عنان وكان البلفيقي رماه بالكذب فبرأه ابن مرزوق وقال انه بقي الى سنة سبعين ومات » .

(١) اخوه الذي حبس نفسه معه اسمه عبد الرحمن وترجمته في الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣٢٩)

والقاعدة عند علماء الحديث وأصوله ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والجرح مقدم على التعديل فتبين بهذه النقول التاريخية وبما ذكره الحافظ ابن حجر ان هذه القصة مكذوبة على ابن تيمية وانه بريءٌ منها ·

وقد ظفرت في مجموع مخطوط بقصيدة من نظم شيخ الاسلام ابن تيمية تعرب عن عقيدته فأحببت ذكرها هنا وهي :

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي   رُزق الهدى من للهداية يسأل
اسمع مقال محقق لا ينثني   عن قوله يوماً ولا يتحول
حب الصحابة مذهبي لي مذهب   ومودة القربى بها أتوسل
ولكلهم قدم علت وفضائل   لكنما الصدّيق منهم أفضل
وأقول في القرآن ما جاءت به   آياته فهو القديم المنزل
وصحيح أخبار الصفات أُمِرّها   حقاً كما ذكر الطراز الأول
وارد عهدتها الى نقالها   وأصونها عن كل ما يتخيل
واقول قال الله جل جلاله   والمصطفى الهادي ولا اتأول
قبحاً لمن نبذ القران وراءه   واذا استدل يقول قال الأخطل(١)
واقر بالميزان والحوض الذي   أرجو بأني منه رياً انهل
وكذا الصراط على جهنم مدّه   فمسلم ناج وآخر مهمل
والنار يصلاها الشقي بحكمة   وكذا التقي الى الجنان سيدخل
والمؤمنون يرون حقاً ربهم   والى السماء بغير كيف ينزل
ولكل حي عامل في قبره   عمل يقارنه هناك ويسأل
هذا اعتقاد الشافعي ومالك   وابي حنيفة ثم احمد ينقل
فان اتبعت سبيلهم فموفق   وان ابتدعت فما عليك معول

محمد راغب الطباخ

(١) اشارة الى البيت المشهور المنسوب الى الاخطل وهو

ان الكلام لفي الفؤاد وانما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا